www.quranonlinelibrary.com

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
قسم القراءات

محاضرة

قراءات القرآن الكريم ورواياته وتنمية التذوق الجمالي

إعداد وتقديم الدكتور

عادل بن إبراهيم بن محمد رفاعي

أستاذ بكلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: alrefaee_٢٠٠٦@hotmail.com

جوال: ٠٥٠٥٣٠٩٠٤٢

www.Quranonlinelibrary.com

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

القرآن الكريم بحروفه وألفاظه وسوره وآياته ومعانيه ودلالاته وبيانه وإعجازه ينمي ولا شك ويعزز فينا التذوق الجمالي فكل ما يقدمه من خبرات متنوعة، وأنشطة متعددة، ومعارف كثيرة تغطى كافة المجالات والجوانب الإنسانية التي يحتاج إليها الناس، فكثير من الآيات القرآنية تضمنت معنى الجمال من خلال التصوير البياني وتنمية الحس الجمالي في صور مشاهد الكون، والإحساس بالجمال في خلق الإنسان، فالقرآن الكريم يعمل فينا تربيته الجمالية ويحثنا دائما على تذوق مدلولاته بجميع حواسنا فلذلك تجد كثيراً من الآيات تختم بـ(أفلا تعقلون – أفلا تسمعون – أفلا تبصرون – أفلا تتفكرون – أفلا تتذكرون – أفلا يتدبرون) وآيات أخرى تحث على النظر والتفكر، وتنعي على من عدموا المشاعر ولم ينتفعوا من الحواس في إدراك حقيقة هذا الوجود وغايته وما بُثّ.في هذا الكون من آيات الجمال ففي القرآن وصف الله نفسه بأنه بديع السموات، وانه المصور والخالق الذي أضفي على كل شيء في هذا الوجود مسحة الجمال والإتقان. فقد جاء القرآن يمثل قمة الفن الأدبي، وقراءة القرآن وسماعه عند من عقل وتأمل إنما هما غذاء للوجدان والروح لا يعدلها ولا يدانيها غذاء، وليس هذا لمضمونه ومحتواه فقط، بل لطريقة أدائه أيضاً، وما يصحبها من ترتيل وتجويد وتحبير تستمتع به الآذان، وتطرب له القلوب، وخصوصاً إذا تلاه قارئ حسن الصوت، ولهذا قال النبي صلي الله عليه وسلم لأبي موسى: " يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود" (أحمد في مسنده، ج ٦، صـ ١٦٧ والبخاري في صحيحه، ج ٤، صـ ١٩٢٥).

فالقرآن الكريم آية الإسلام الكبرى، ومعجزة الرسول العظمى: يعتبر معجزة جمالية، إضافة إلى أنه معجزة عقلية، فقد أعجز العرب بجمال بيانه، وروعة نظمه وأسلوبه، وتفرد نظمه، على أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات أو حتى بمن مثله وهو تحد قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (قل لئن اجتمعت الإنس والجن ....) حتى سماه بعضهم: سحراً قال تعالى (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ).

والرسول (صلى الله عليه وسلم) كان المثل الإنساني الأعلى في الأناقة والجمال وسمو الذوق. فالجمال سر من أسرار القدرة الإلهية ودليل عليها، وهو يُدْرَك بالحس والقلب، وليس من السهل تعريفه أو

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حده بأوصاف أو رسوم أو عبارات، وهو شعور داخلي قد يترجمه صاحبه في عبارات أو إشارات، وقد يظهر في لغة الملامح والتقاسيم، والإحساس بالجمال عجيب في كيان الإنسان حيث يحدث توافقاً بين الحس البشرى والجمال الخارجي من خلال المُدْرَكات الحسية التي وهبها الله للإنسان.

وسوف يتم بمشيئة الله تعالى في هذه المحاضرة تناول موضوع قراءات القرآن الكريم ورواياته وتنمية التذوق الجمالي من خلال عدة محاور:

أولاً: المراد بقراءات القرآن الكريم ورواياته:

ثانياً: التذوق الجمالي

ثالثاً: خصائص الجمال وسماته:

رابعاً: التذوق الجمالي في الإسلام

خامساً: أنواع الجمال القرآني في القراءات والروايات، وكيفية تطوير تذوقها:

سادساً: فوائد تنمية التذوق الجمالي للقراءات:

.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أولاً: المراد بقراءات القرآن الكريم ورواياته:

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي في الأصل مصدر الفعل "قرأ".

أما المقصود من علم القراءات في اصطلاح العلماء: فهو العلم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، منسوبة لناقلها.

والقراءات المتواترة المتفق عليها بين الأئمة هي القراءات العشر: قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبي جعفر، ويعقوب، وخلف العاشر.

ثم لكل واحد من هؤلاء القراء العشرة راويان أخذها عنه القراءة؛ فراويا نافع: قالون وورش، وراويا ابن كثير: البزي وقنبل، وراويا أبي عمرو: السوسي والدوري، وراويا ابن عامر: هشام وابن ذكوان، وراويا عاصم: شعبة وحفص، وراويا حمزة: خلف وخلاد، وراويا الكسائي: أبو الحارث ودوري الكسائي، وراويا أبي جعفر: ابن جماز وابن وردان، وراويا يعقوب: روح ورويس، وراويا خلف العاشر: إسحاق وإدريس.

ثانياً: التذوق الجمالي

الذَّوق مصدر من الفعل ذاقَ الشيء يذوقه ذَوْقًا ومَذَاقًا.

ومذاق الشيء: طعمه.

والتذوق: يكون بالفم وبغير الفم. وقد اتَّسَع الناسُ في استخدام هذا المصطلح فأطلقوه على كل ما يدركه المرء من خلال حواسِّه ووجدانه.

والتذوق يدل على أن المتذوق قد ذاق جمال الشيء مرةً بعد مرةً.

والتَّذَوُّق الجمالي -كما يراه بعض الباحثين-: يصعُب أن يُضْبَط بضابطٍ معيَّنٍ، لأجل ذلك يختلف الناس في الحكم على جمال اللوحاتِ، وجمال الوجوه، وجمال الطبيعية، وجمال الحيوانات، وجمال الصناعات، وذلك أنَّ التَّذَوُّق يرجع إلى ميول المتذوِّق وهواياته، وقدرته على تمييز خصائص الأشياء وتفريق بعضها عن بعض.

فلأجل ذلك يصعب أن نحكم على التذوق الجمالي بتعريفٍ يشترك فيه الناس، ويمكن أن يُقال في تعريفه: مَلَكَة المتذوِّق في الحكم على ما يتذوَّقُه عن طريق الإحساس والتجربة الشخصية دون التقيُّد بقواعد معينة.

ثالثاً: خصائص الجمال وسماته:

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الجمال هو إحدى القيم الإنسانية الكبرى التي عمل دين الإسلام – قرآناً وسنة، شريعة وعقيدة، ومعاملات- على إحيائها وتزكيتها وتربيتها في نفس الفرد والمجتمع حتى يستقيم أمر الوجود الإنساني وحضارته، وحتى يستقيم الفكر الإنساني في نظرته إلى ماضيه، وتطلعه إلى مستقبله وتقديره لحاضره وواقعه. وبدون الاهتمام بالجمال والسمو به تظل البيئة متخلفة، والعلاقات الإنسانية غير سوية، فيدفع أفراد المجتمع ثمناً باهظاً لعدم الاهتمام بالجمال أقل ما فيه عدم الأخذ على أيدي المخربين، وتشجيعهم على تشويه البيئة ونشر القُبْح؛ إذن الجمال من الغايات المقصودة في خلق الكون ، وله خصائص وسمات وهي:

١. الإتقان والسلامة من العيوب : وهى سمة هامة ينبغي توافرها في الشئ حتى يكون جميلاً، والقرآن الكريم يلفت الأنظار للتأكد من هذه السمة – أي من وجودها- بعد أنْ يسجل وجود الظاهرة الجمالية، فكل شئ خلقه الله جاء في غاية الإتقان، والكون الهائل ليس فيه أي خلل أو نقص أو عيب، ولا يصلح مخلوق إلا كما خلقه الله فالأفعى لا تكون جميلة إلا بتجردها من الأيدي والأرجل وبجلدها المرقش، والفيل لا يكون جميلاً إلا بهذه الهيئة التي رُكِّب فيها من جسم ضخم وخرطوم طويل ونحو ذلك، فكل مخلوق وُجِد في أحسن صورة تناسب حاله.

٢. الدقة: فهذا الكون الذي يشتمل على بلايين البلايين من النجوم والأفلاك، فالدقة فيه تضفي على الشيء جماله المناسب.

٣. القصد: ويُقْصد بهذه السمة نفي العبث عن الموضوع الجمالي، ونفي العبث يعنى وجود باعث وغاية للموضوع الجمالي، والعبث يرفضه الجمال لأنَّ الجمال تناسق وتوازن وإحكام؛ والقصد يُعْني الإيجابية والعطاء الخَيِّر في كل ما يتجه إليه الإنسان. فالجمال المتناسق، والزينة المقصودة من المقاصد القائم عليها، فالقصد سمة ضرورية من سمات الجمال.

٤. التنوع: يُعْتبر التنوع من أهم العوامل المؤثرة في شعور المتذوق باللذة، والتنوع ضد المماثلة التي تُشْعِر بالملل، فاختلاف ألوان الأزهار والثمار يُدْخِل على النفس البهجة والسرور، فالتعدد والتنوع والذي يعد من خصائص الجمال فرصة عظيمة للإنسان ليتتبع آثار قدرة الله فيما أودعه من جمال في المخلوقات، ويجعل الإنسان ينطلق بشكل دائم ومستمر إلى اكتشاف الجمال، وذلك بعكس ما لو خُلِق نوع واحد من كل مخلوق من المخلوقات فإنَّ ذلك يؤدى حتماً إلى الحرمان من التطلع والغوص في أسرار المخلوقات.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥. التنظيم: يختص التنظيم بتناسق الأبعاد، ويُقْصَد بالأبعاد هنا أبعاد الشئ الواحد، أو المسافات بين الأشياء، وقد يكون المقصود ترتيب الأشياء على شكل هندسي من استقامة أو تطابق أو تناظر، إنَّه التناسق في الصورة الظاهرة؛ وقد اسْتُخْدِمت هذه السمة من سمات الجمال في بيان جمال الجنة ضمن التنسيق الجمالي العام فالسرر المعدة لأهل الجنة مصفوفة مرتبة ليأخذوا عليها كامل راحتهم في وضع جمالي قال تعالى:) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ((الطور: ٢٠).

٦. التناسق : التناسق نظام يربط الأشياء بعضها ببعض فتبدو في وحدة متجانسة متكاملة، وهو ليس سمة للجمال فحسب، وإنَّما هو سمة واضحة في بناء الكون كله، إنَّه النظام الخفي الذي يربط بين أجزاء الشئ الواحد بحيث تبدو أجزاؤه متوازنة ولا يكتمل ما يوصف بالجمال إلا بتناسقه؛ فرغم أنَّ الورود والزهور جميلة بطبيعتها إلاَّ أنَّ تنسيقها في طاقة متجانسة تُعْطِي معنى أكبر من جمالها الأساسي الفطري، والتناسق يقوم على الضبط والتقدير وتحقيق نسب الأشياء في الحجم والشكل واللون والحركة والصوت.

٧. الوحدة والتوافق والانسجام : من الخصائص التي يتميز بها الجمال الوحدة لأنَّه من صفات وخلق الله وهو مصدر الخلق جميعاً، وما سواه من المخلوقات أو الآلهة المزيفة لم تخلق شئ، ووحدة الخالق توجب الوحدة في قوانين الخلق والمخلوقات، ثم يأتي التوافق والانسجام بين المخلوقات ويُقْصَد به إيجاد صلة أو علاقة تقارب أو تشابه أو تآلف الأشياء بعضها مع بعض، ويمكن أنْ يتحقق التوافق والانسجام بين مجموعة ألوان مختلفة ويسمى توافق لونى، أو يتحقق بين مجموعة أشكال ويسمى توافق شكلي، ويمكن أنْ يكون بين أشياء كثيرة في الحياة كالسلوك، والأصوات وغير ذلك.

٨. الإبداع : الله مبدع الأشياء وموجدها على غير مثال سبق، وقد أوجد خلقه على غاية الإتقان ولابد لمن أبدع هذا الوجود من أنْ يكون جميلاً، وأنْ يكون خلقه في غاية الجمال والحُسْن، الإبداع إذن من خصائص وسمات الجمال الهامة التي ينبغي توافرها في الشئ حتى يسمى جميلاً .

٩. التوازن: وتبدو هذه السمة في اتزان حركة الأرض وثباتها، وفي عدم طغيان ما عليها من خلائق بعضها على بعض كل له قدره الموزون الذي يكفيه لأداء دوره على الأرض كما أراده له الخالق، فالتوازن سمة هامة تثير في النفس اليقظة، وإذا اتسم بها الشيء أصبح جميلاً.

١٠. الترابط: وتبدو هذه السمة في اجتماع الخلائق على أصل واحد ومصدر واحد، واشتراكها في نشاط واحد يربط بينها جميعاً، وهذا يشير إلى ضرورة توافر الترابط في الشيء ليُصْبح جميلاً.

رابعاً: التذوق الجمالي في الإسلام

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إن الله عز وجل سبحانه قد خلق الجمالَ في صُوَرٍ متعددة في هذا الكون، فالإنسان محاطًا بالجمالِ أينما ذهب وأينما نظر، فجوَّل ناظريك في خلق الله تجد الجمال منتشرًا حولك في كل مكان، يقول تعالى: {الذي أحسن كل شيء خلقه}، ويقول سبحانه: {ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت}، ويقول: {صنع الله الذي أتقن كل شيء}.

فمن ذلك جمال البشر؛ فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، قال تعالى: {لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم} [التين:٤]، وقال: {وصوركم فأحسن صوركم} [غافر:٦٤] ومنح الله بعض الناس جمالًا يفوق جمالَ غيرهم، فمن ذلك جمال نبي الله يوسف عليه السلام، ومن ذلك جمال سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، والذي وُصِفَ من جماله بأنَّه كان (تَلَأْلأ وجهُه تلألؤ القمر ليلة البدر) وهو حديث حسن أورده السيوطي في الجامع الصغير.

ولعل جمال الأنبياء حتى لا ينفر الناسُ عن دعوتهم بسبب قبحهم.

ومن أنواع الجمال التي يهتم بها الناس وأقرَّهم القرآن عليها: الجمال الموجود في الحيوانات، قال تعالى: {والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمالٌ حين تُرِيحون وحين تسرحون} [النحل:٦]، وقال: {إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين}، فلا بأس بالإنسان أن يستريح لجمال ما يملكه من دوابٍّ أو نحو ذلك من الحيوانات، أو كما يفعل الناس اليوم من مشاهدة جمال خلق في مخلوقاته من خلال متابعة البرامج الوثائقية التي تتحدث عن الحيوانات المختلفة.

ومن أنواع الجمال النبات والحدائق التي يكون منها، قال تعالى: {أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة} [النمل:٦٠]، وقال تعالى: {إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها} [الكهف:٧]، وقال سبحانه: {وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج} [الحج:٥] فهذه دعوة واضحةٌ من القرآن إلى التأمل في جمال هذا الكون وإبداعه، وإلى النظر في مشاهد الطبيعة من حولنا وما فيها من حسن وإبداع وزينة وجمال.

ومن أنواع الجمال جمال الرائحة، قال صلى الله عليه وسلم: "حُبِّب إليَّ من الدنيا النساء والطيب".

ومن أنواع الجمال جمال النجوم في السماء، قال تعالى: {ولقد جعلنا في السماء بروجًا وزيناها للناظرين}.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومن أنواع الجمال جمال اللباس، ففي حديث عبد الله بن مسعود، الذي يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ". قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة. قال : " إن الله جميل، يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس"(١).

ويؤكد هذا المعنى هذا الحديث الذي رواه معاذ بن جبل قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال : يا رسول الله، إني أحب الجمال، وإني أحب أن أُحمد .كأنه يخاف على نفسه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وما يمنعك أن تحب أن تعيش حميدا وتموت سعيدا؟ وإنما بعثت على تمام محاسن الأخلاق "(٢). فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الجمال، وحب الذكر الحسن، من سعادة الدنيا، بل جعله من مكارم الأخلاق التي بعث صلى الله عليه وسلم ليتممها.

وقد جاء الأمر القرآني بهذا الجمال في مواطن العبادة والصلاة، فقال سبحانه: {يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد} [الأعراف:٣١].

ومن أنواع تذوق الجمال في القرآن تذوق جمال الحلي. فقال تعالى عن النساء: {أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين} [الزخرف:١٨]، وقال تعالى عن البحر: {لتأكلوا منه لحمًا طريًّا وتستخرجوا منه حليةً تلبسونها} [النحل:١٤]، وقال: {وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملحٌ أجاج، ومن كل تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون حليةً تلبسونها} [فاطر:١٢].

ووعد المسلمين بالحلية في الجنة، فقال سبحانه: {وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا} [الإنسان:٢١]، وقال: {يُحَلَّوْنَ فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابًا خضرًا} [الكهف:٣١]، وقال: {يُحَلَّوْنَ فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا ولباسهم فيها حرير} [الحج:٢٣]، وقال سبحانه: {جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا} [فاطر:٣٣].

ولكن لا ينبغي أن تكون الحليةُ طريقًا للغواية كما فعل بنو إسرائيل، قال سبحانه: {واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلًا جسدًا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلًا اتخذوه وكانوا ظالمين} [الأعراف:١٤٨].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج 1، ص 399، طـ مؤسسة قرطبة، وأخرجه مسلم في صحيحه، ج 1، ص 93، طـ دار إحياء التراث العربي.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ج 8، ص 23، طـ دار الكتاب العربي.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولم يتوقف الجمال في الإسلام عند ذلك، بل تعدَّاه إلى جمال الصبر فقال تعالى: {فصبرٌ جميل}، وقال تعالى: {فاصبر صبرًا جميلًا} [المعارج:٥] وجمال الصفح قال سبحانه: {فاصفح الصفح الجميل} [الحجر:٨٥]، وجمال الأخلاق عمومًا، بل حتى في الهجر والخصومة، فقال سبحانه: {واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلًا} [المزمل:١٠]، وقال في الطلاق: {فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا} [الأحزاب:٢٨]، وقال: {فمتعوهن وسرحوهن سراحًا جميلًا} [الأحزاب:٤٩].

بل إنَّ الناس وُعِدُوا بالجمال في الجنة، فقال تعالى: {وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين} فالجنة فيها ما تستلذُّ به العيون؛ من جمال الولدان، وجمال الحور العين، وجمال النعيم الذي لا يُوصَف ولا ينتهي، وفوق ذلك كله تلذُّذ الناظرين برؤية الله سبحانه وتعالى: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}.

ولكن، ابتلى الله الناسَ بأنواعٍ من الجمال المحرم الموجود في الدنيا؛ ليعلم الصالح من الطالح، والتقيَّ من الفاجر، والمطيع من العاصي، فقال تعالى: {لا تمدَّنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه}. وقال: {وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} [النور:٣١].

فالإحساس بالجمال في الإسلام لا بُدَّ أن يكون متوازنًا، فالإنسان محتاجٌ إلى تذوقِ الجمال بعينه، وتذوق الجمال بأذنه، وتذوق الجمال بعقله، وتذوق الجمال بقلبه، وهذا كله موجودٌ في الإسلام ومسموحٌ به، ولكن بطريقة متوازنة.

فعندما نُرَبِّي الناس على تذوق الجمال لا بد أن نكون متوازنين، لا نبعدهم عن هذا التذوق تمامًا، كما نرى من بعض الجفاة غلاظ القلوب، الذين لا يتغنون بالقرآن، ولا يقبلون أطفالهم، ولا يجيلون نظرهم في هذا الكون الفسيح، بل يُظْهِرُون للناس جانبًا مظلمًا يظنُّون أنه به يتحقق الإسلام.

وعلى العكس من ذلك لا نُرَبِّي الناس على إطلاق أبصارهم وأسماعهم لكل ما هو جميل؛ فإن هذا الإطلاق يؤدي إلى انطلاق الشهوات في النفوس، وانطلاق الشهوات يؤدي إلى أمورٍ لا تُحْمَدُ عُقْبَاها.

فنحن هنا نريد أن نكون متوازنين، نُظْهِر للناس مواطن الجمال في القرآن بأنواعه المختلفة، ليكون مُشْبِعًا لرغبتهم ولحاجتهم إلى الجمال؛ فمن تذوق الجمال الصوتي في القراءات والروايات ستكون كافيةً له ومشبعةً عن تتبع مزامير وآلات الشيطان. (توظيف مراتب القراءة في الوصول على الغاية وهي التدبر والوصول إلى ما في القرآن من الرحمة والنور والهدى والبركة والوصول إلى السعادة المرجوة في الدنيا والآخرة ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ومن كان مُتَذَوِّقًا لمعاني القرآن العظيمة كانت كافيةً له ومشبعةً عن تتبع المعاني الفلسفية التي أُشْبِعَت بها كتب الفلسفة والروايات.

دليل التذوق الجمالي للقرآن:

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الأصل في مشروعية التذوق لجمال القرآن ما قال النبي صلي الله عليه وسلم لأبي موسى: " يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود" (أحمد في مسنده، ج ٦، صـ ١٦٧ والبخاري في صحيحه، ج ٤، صـ ١٩٢٥).

كيفية التذوق الجمالي للقراءات والروايات:

أولًا: سبق أن التَّذَوُّقَ يدل على ذوق جمال الشيء مرةً بعد مرة، وهذا يعني أنَّ تذوق القرآن الكريم وتذوق جمال قراءاته ورواياته لا يمكن أن يكون على تمامه وكماله من المرة الأولى، بل لا بُدَّ لمن أراد أن يُحِسَّ بلذاذة القرآن الكريم ولذاذة قراءاته ورواياته أن يعاود الذوق مرة بعد مرة، والكرة بعد الكرة؛ للوصول إلى جمال هذا القرآن الكريم، والوصول إلى جمال رواياته.

فإن كان عارفًا للقراءات دارسًا لها؛ لا يكفيه في تذوقها أن يحفظ الشاطبية والدرة والطيبة، ثم يعرف كيفية الجمع بين هذه الروايات، ثم يقرأ ختمةً على الشيخ بالجمع! فهذه الطريقة هي الطريقة العلمية لتحصيل القراءات، ولكنها ليست الطريقة الروحية لتذوق جمال القراءات والروايات.

بل سبيل ذلك أن يتغنى بهذا القرآنِ آناء الليل وأطراف النهار، ويكون له وردٌ يوميٌّ وختمات متكررة بالقراءات والروايات المتنوعة، ويكون قراءته في الليل بهذه الروايات، ويحاول أن يصلي الصلوات المفروضة أحيانًا بهذه الروايات، وهكذا.

أمَّا الاكتفاء بحفظ المنظومات العلمية، ومعرفة أوجه القراءات والروايات ومحل الخلاف والاتفاق، فهذا لا يكفي في تذوُّق جمال القراءات والروايات.

ثانيًا: على مَن أراد أن يتذوَّق جمال القراءات القرآنية أن يعيَ حقيقة ما جاء به القرآنُ الكريم، فالباحث عن تذوق جمال المسابقات الرياضية لن يجِد بُغْيَتَه في هذا الكتاب الكريم، والباحث عن تذوق أنواع الفساد والضلال والفجور لن يجد مُرَاده في القرآن المنزل من عند الله، وإنما القرآن له خصائص جمالية تُجَمِّله، هي التي أبهرت سامعيه، وأعجبت قارئيه، وتلذذ به حافظوه، وهي التي يجب أن يبحث عنها المتلذذ، وسنشير لأنواع الجمال القرآني، وكيفية تنميتها وتطويرها -إن شاء الله سبحانه وتعالى-.

ثالثًا: يختلف التذوق الجمالي للقرآن الكريم بحسب حالة القارئ؛ فيختلف التذوق الزماني من شخص إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، بل حتى الشخص الواحد قد يختلف تذوقه الجمالي لجمال

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القراءات بين الحين والآخر، وذلك بناءً على طبيعة القارئ أو السامع للقرآن، وبناءً على الظروف المحيطة بسماع القراءات أو تلاوتها.

فالذكور قد يجدون مواطن جمالية في القرآن لا تتنبه لها الإناث، وبالعكس، فمثلًا الحديث عن حُلِيٍّ ولباس أهل الجنة قد يهتم له النساء أكثر من الرجال، وهكذا.

كما أن الحالة النفسية لسامع القراءات لها تأثيرُها على تذوق الجمال الفني الموجود في القراءات؛ فمَن كان مستعجلًا يريد أن ينهي وِرْدَه أو تسميعه أو نحو ذلك فلا شكَّ أنه سيغيب عنه كثيرٌ من الجماليات المتعلقة بالقراءات، فيما أنَّ الملقيَ سمعه وإنصاته لهذه الروايات لا شكَّ أنه سيتلذَّذُ بها ويجد فيها مكامن الجودة والإتقان والجمال، لأجل ذلك يقول بعض العلماء ما معناه: (ليس المهم كم مرة أختم القرآن، ولكن المهم كم مرَّةً يتأثَّرُ قلبي بالقرآن).

كما أنَّ جمال الصوت له علاقةٌ بتذوق جمال القراءة، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما أذن الله لشيء ما أذِن لنبيٍّ حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن، يَجْهَرُ به".

رابعًا: تذوُّق جمال القراءات هو كأي أمرٍ آخر، يحتاج إلى التدريب المستمر والمتواصل، ثم إذا وصل القارئ والسامع إلى خبرةٍ كافيةٍ في تذوق القراءات استطاع أن يتلذذ بجمالها وروعتها ودقة ألفاظها ووصفها.

خامسًا: تذوُّق جمال القراءات يحتاج إلى نفسٍ سلِمَت مما يقِفُ حائلًا بينها وبين الذوق السليم، فمَن استغرق حياتَه في سماع أصوات الطرب والموسيقى قد لا يلتفت إلى الجمال الموسيقي الموجود في القرآن، ومَن استغرَق حياتَه في ظلم الناس وأكل حقوقهم قد لا يلتفت إلى جمال العدِل والإنصاف الذي حَفَل به القرآن، وهكذا.

سادسًا: إحضار القلبِ والتدبُّر والتفكُّر هو أهمُّ ما يكون لحصول التذوق السليم للقراءات والروايات، فمَن كان يقرأ القرآن بلا حضور قلبٍ فلا شكَّ أنَّه لن يتلذَّذ به؛ لأنَّ أكثر ما يلتذَّذ بالقرآن هو القلبُ، يقول ابن القيم رحمه الله: "قراءة آية بتفكر وتدبر، خير من ختمةٍ بغير تدبر؛ فهي أنفع للقلب، وأدعى لحصول الإيمان، وتذوق حلاوة القرآن". فهذا الإمام العظيم يدلُّنا على أنَّ من أراد تذوق حلاوة القرآن أن يختم القرآن بالتفكر والتدبُّر والتأمُّل؛ فهي التي توصِل بإذن الله سبحانه وتعالى إلى التلذُّذ بحلاوة القرآن.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

خامساً: أنواع الجمال القرآني في القراءات والروايات، وكيفية تطوير تذوقها:

أولًا: جمال القراءات الصوتي:

لقد تميز القرآنُ الكريم بتوظيف أصوات الحروف العربية توظيفًا لغويًّا قادرًا على تصوير المعاني من جهة، كما أنَّه من جهة أخرى أبرز قدرته على التنغيم الصوتي. يقول ابن عطية: "لو نزعت حرفًا من القرآن، ثم أدرت اللغة من ألفها إلى يائها لتجد ما يَسُدُّ مَسَدَّه فلن تجد"[٣].

والهدف من ذلك أن يبلغ بالسامع والقارئ لهذا القرآن العظيم إلى التأثُّرِ به، ومحبته، حتى أصبح للصوت القرآني صورةً متميزةً عن غيره من الأصوات المنغمة والمحسنة، يُحِسُّ بها كل من سمع القرآن وتلاه.

فهذا القرآن إذا قرع السمع خلَص إلى القلب؛ لما فيه من اللذة والحلاوة، ولما يعتريه من الروعة والمهابة. يقول الرافعي: "فلمَّا قُرِئ عليهم القرآن راوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، ألحانًا لغوية رائعة، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعةً واحدة، قراءاتها هي توقيعها، فلم يفُتْهُمْ هذا المعنى، وأنَّهُ أمرٌ لا قِبَل لهم به"[٤].

وليكن معلومًا لدى السامع أنَّ هذا التأثير لا يمكن أن يُعَبَّر عنه، وإنما هو حِسٌّ جماليٌّ يتذوقه الإنسانُ تذوقًا مع الخبرة والتكرار. يقول ابن الأثير في كتابه (المثل السائر): "الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين، وما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه، وحسنه مُدْرَك بالسمع، والذي يُدْرَك بالسمع إنما هو اللفظ؛ لأنه صوت يأتلف عن مخارج الحروف، فما استلذه السمعُ منه فهو الحسن"[٥]. ثم قال: "ومَن له أدنى بصيرةٍ يعلم أن للألفاظ في الأذن نغمة لذيذة كنغمة أوتار، وصوتًا منكرًا كصوت حمار، وأن لها في الفم أيضًا حلاوة كحلاوة العسل، ومرارة كمرارة الحنظل، وهي على ذلك تجري مجرى النغمات والطعوم". ثم قال: "إذا نظرنا إلى كتاب الله تعالى الذي هو أفصح الكلام وجدناه سهلًا سلسًا، وما تضمنه من الكلمات الغريبة يسير جدًّا، هذا وقد أنزل في زمن العرب العرباء، وألفاظه كلها من أسهل الألفاظ وأقربها استعمالًا، وكفى به قدوةً في هذا الباب".

ولنضرب لذلك مثالًا بكلمة {السراط} في سورة الفاتحة وغيرها من السُّوَر؛ فمِن القراء من يقرؤها بالسين، وهي على هذا مأخوذةٌ من السَّرْطِ الذي هو الابتلاع، ومِن القراء مَن راعى المنطق الصوتي الجمالي؛ فرأى إبدال السين صادًا لأن الطاء مجهورةً ويناسبها حرفٌ مجهورٌ قبلها، ومِن القراء من رأى قراءتها بالإشمام ليؤاخي السين في الصفير والطاء في الجهر؛ فتلك مجانسة ومشاكلة.

---

[٣] المحرر الوجيز لابن عطية (١/١٣).

[٤] إعجاز القرآن والبلاغة (ص١٦٨).

[٥] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ص٢٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وهكذا الجمال الصوتي للقراءات، ينقلك من عالمٍ إلى عالمٍ، والمعنى لم يتغير، والرسم لم يتغير، فقط تغيرت الأصوات، وكلٌّ يطرب لها السامع ويأنس ويرتاح.

ومما ينبغي أن نلاحظه أن القرآن لا يبحث عن الجمال اللفظي لأجل الجمال اللفظي فقط؛ كما هو في كتابات كثيرٍ من البشر، من اهتمامهم بالألوان البديعية كالمقابلة والجناس ورعاية النظير ونحو ذلك، مما قد يكون هدف المؤلف الأول هو إظهار قدرته اللغوية، وتحسين ألفاظه لجذب السامعين والقارئين، ولكن بعد التأمُّل لما يُقال نجد أنها في الغالب بهرجة لفظية، وهذا لا يكون في القرآن، بل المراد الأساس في كتاب الله هو المعاني العميقة، مع تجميله بالمحسن البديعي لتوضيح المعنى وتقويته، وهذا الذي جعل القرآن الكريم أعظم من غيره، فالألفاظ القرآنية تعطي إيحاءات رائعة جميلة، وتشع بأكثر من دلالة، وتوحي بأكثر من معنى، مع جمالها اللفظي والحسي والإيقاعي.

ثانيًا: جمال القراءات في الصورة التخيلية:

كثيرًا ما تتنقل القراءات بين الضمائر لتتنقل صورة القارئ التخيلية بين أن يكون غائبًا مشاهدًا للقصة، وبين أن يكون حاضرًا مخاطبًا يُراد به الخطاب.

كقوله تعالى: {فأصبحوا لا يُرَى إلا مساكنهم} في سورة الأحقاف، ومن قرأها بالخطاب {فأصبحوا لا تَرى إلا مساكنهم}.

فإن القراءة الأولى تُشْعِرَك أن الحديث عن أشخاص غائبين هم الذين يرون، فتتخيل وجود أشخاص ينظرون إلى وجود تلك المساكن ويتأملون ما فيها، فيما أن القراءة الأخرى تدفعك أنت إلى أن تُعْمِل ذهنك في النظر إلى تلك المساكن والتأمل فيما حصل للقوم.

كثيرًا ما تتحدث الآيات القرآنية عن أمورٍ حدثت في زمنٍ ماضٍ، أو ستحدث في المستقبل أو يوم القيامة، ويعبر عن هذه الأمور والقصص بألفاظٍ مختلفة، فمَن راعها سمعه، وأطلق عَنَان مخيلته لتصور تلك المواقف والأحداث، فلا شكَّ أنه سيتبين له ما لا يتبين لصاحب الخيال الضامر، والفكر القاصر، والذي لا يتخيل الشيء إلا أن يجده أمامه ويراه بعينيه.

ثالثًا: جمال القراءات في صُوَرِها الأدبية:

نأخذ لذلك مثالًا؛ في قوله تعالى: قراءة حمزة {فلا تعلم نفس ما أَخْفِيْ لهم مِنْ قُرّة أَعْين} حيث ورد الفعل مستقبلاً، وربنا عزوجل يخبر بهذا الفعل عن نفسه. وقرأ باقي القراء بالفعل الماضي المبني للمجهول ((أُخْفِيَ لهم)).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

يلاحظ البلاغيون أن الفعل المضارع ينطوي على حياة ورونق. فهو من ناحية يُشْعِر بالحركة المتجددة من صنوف النعيم المخبوء. ففي كل يوم من أيام القيامة يكشف الله عزوجل عن خفاء، وما يكشفه اليوم غيرُ ما يكشفه غداً. وتبقى النفس المؤمنة تطمع في المزيد؛ لتُرْوِيَ غليلها، بما يخفيه لها ربُّها عزوجل، من أَطايبَ ونفائس، فتقَرَّ عينُها بذلك المِخْفيّ المتجدد المستمر في عطائه الجزيل. ومن ناحية ثانية يحقق الفعل المضارع ((أُخفيْ)) انسجاماً مع الفعل المضارع الذي قبله، المتصل به، وذلك لأن قراءة حمزة }وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ{فيكون ثمة توافق بين المضارع الأول ((ينفقون)) والمضارع الثاني ((أُخْفِي)) كما يكون ثمة جزاء مستمر متجدد في نسيج المضارع، ذي الفعل الربَّاني ((أُخْفِيْ)) في مقابل المضارع ذي الفعل البشري ((ينفقون)). ومن ناحية ثالثة: يقوي إخبار الله تعالى عن نفسه، أن قبله إخباراً عنه سبحانه في قوله} :وَلَوْ شِئْنَا لآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ [٤]{وفي قوله: ((إِنَّا نَسِينَاكُمْ)) وفي قوله: ((بِآيَاتِنَا)) فكلُّ هذا إخبارٌ من الله عن نفسه، فجرى ما بعده عليه.

ولتطوير الذوق الجمالي للروايات والقراءات لا بُدَّ للإنسان أن يُطَوِّر نفسَه في معرفة علوم البلاغة، خاصَّةً علمي المعاني والبيان، يقول السكاكي: "اعلم أنَّ الإعجاز القرآنيَّ يُدْرَكُ، ولا يمكن وصفُه ... ولا يُدْرِكُ تحصيلَه لغير ذوي النظرة السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان، والتمرين فيهما"[٦].

ويقول الخطابي –رحمه الله– عن القرآن: "إنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة، إلى الحدِّ الذي يعلم الخلقُ العجزَ عنه، فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوهٌ، منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظمَ القرآن على تصرف وجوهه، واختلاف مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختصُّ به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد"[٧].

رابعًا: جمال القراءات في تجدد معانيها.

إن المعاني مِن أهم مظاهر الجمال التي يعتني بها الناس، كما يقول الإمام الغزالي: "وجمال المعاني المدركَة بالعقل أعظمَ من جمال الصور الظاهرة للأبصار"[٨].

---

[٦] الإتقان في علوم القرآن (ص٦٥١).

[٧] إعجاز القرآن (ص٦٢).

[٨] إحياء علوم الدين (٤/٢٩٧). لا

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وإنَّ مما يتميز به القرآن الكريم تجدُّد معانيه، لأنَّه لا تنقضي عجائبُه، ولا تنتهي، بل إنَّ المعنى الواحد إذا مرَّ على السامع للقرآن أو قارئه ازداد فيه علمًا وبصيرةً وفهمًا كما لم يكن من قبل، لأجل ذلك لا يحس حفظة القرآن بأنه شيء قديم قد بَلِي، والعلماء لا يشبعون منه لكثرة ما يزيدهم من العلم والنور.

وإلى ذلك يشير النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "كتاب الله ... ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجنُّ إذ سمعته أن قالوا: {إنا سمعنا قرآنًا عجبًا}".

ومِن جمال القرآن وتنوعه تنوُّع طرق القراءة به؛ وهذه مزيةٌ لا تجدُها في كتابٍ آخر في الدنيا أبدًا، قد تجد في بعض الكتب والأشعار أنه اختلف الناقلون في رواية الكتاب أو الأبيات، ولكن ما نجده في القرآن من تنوع للروايات إنما هو من قبيل القائل سبحانه وتعالى، ليزيد من جمالِه وبهائه، وليجذب آذان وقلوب السامعين إليه.

فمعاني القرآن الكريم تختلف من قراءة إلى أخرى في كثيرٍ من المواطن.

فمِن ذلك مثلًا: تجدد المعنى الموجود في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين} [المائدة:٦] فقد جاءت بعض الروايات بجر {أرجلكم}، وجاءت روايات أخرى بالنصب؛ أما النصب فواضحٌ، والمعنى: اغسلوا أرجلكم كما نفعل في الوضوء. وأما الكسر فمعناه: امسحوا برءوسكم وامسحوا بأرجلكم} وهو إشارة إلى مسح الخفين.

فنلاحظ أن الرواية الأخرى أدَّت إلى تغيُّرٍ في المعنى وتجدُّد.

ومن ذلك مثلًا: أول مواطن الخلاف في القرآن، وهو {ملك يوم الدين} و{مالك يوم الدين}، فإذا رجعت إلى توجيه هاتين القراءتين فتحت لك بابًا من أبواب جمال المِلك سبحانه وتعالى؛ فهي تزيد من معرفتك بالله، وتزيد من اطلاعك على جلاله وقدرته وملكه وقدرته على تعبيد كل الناس له سبحانه.

ولتطوير ذوق الإنسان للقراءات والروايات من ناحية الجمال المعنوي؛ يحتاج الإنسان إلى معرفة توجيه القراءات، فإنَّ كتب توجيه القراءات تذكر للمتذوِّق أسباب اختلاف هذا الألفاظ وما تؤدي إلى معاني مختلفة.

كما ينبغي لمن يرد تذوق جمال القراءات والروايات أن يَطَّلِع على الكتب التي كتبت عن تأثير القراءات على الفقه الإسلامي، وكيف أنَّ اختلاف القراءات أدَّى إلى اختلاف المعاني المختلفة للقرآن.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

خامسًا: جمال القراءات في الغوص في المعاني الإنسانية العميقة.

قرأ نافع }وَأَلْقُوهُ فِي غياباتِ الْجُبِّ **[٥]**{بالألف جمع غيابة، وقرأ الباقون ((غيابة)) بالإفراد، والسياق القرآني حسب القراءة بالجمع يشير إلى أن البئر لها غَيابات متعددة، لأن لكل جزء منها غَيابةً، والمراد ظلمات البئر ونواحيها المتعددة فكان الجمع لمراعاة ذلك. إخوة يوسف في مرحلة الوصول إلى البئر في رحلة الحسد والبغضاء موتورون، امتلؤوا غيظاً وتِرة، وتفجَّروا حقداً وغضباً، وهم الآن قد تَمكَّنوا من أخيهم، والسبيلُ مُيَسَّر إلى إرواء ما يعتمل في القلوب والصدور، فكان قرارهم بعد ذلك بإلقائه في هذه الغيابات السحيقة. أجل إنها غيابات؛ لأنها أحقاد تراكمية مجتمعة، وجَمْعُ الغَيابة في هذا السياق يناسب الأشكال السوداء، من الحالة النفسية، التي تتمَطى وتتشاءب فيهم، لقد تصوروها غَياباتٍ امتداداً للغَيابات التي تجثم في ذاكرتهم، من الحسد المتجدد، والغضب الدائم. فبالله عليك يا من تُمْسك بيد يوسف لا تكتفي برميه في البئر، وإنما تود لو ترميه في غياباتها، في أعماقها، في ظلماتها المتعددة، فلعلَّ في هذا شفاءً لما في الصدور، وبَلْسماً لما في القلوب، وبذلك لن تراه عيوننا فيما نستقبل. وهكذا توافق التعبير اللفظي مع الخلجات النفسية المتصاعدة، في هذا الجمع الغنيّ الثر. ثم إن كل ما غاب عن النظر من الجب يُعَدُّ غَيابة، وذلك أشياء كثيرة.

والخُلاصة: أن الجمال القرآني له أنواعٌ وأشكال، وهذه الأنواع والأشكال لا يمكن تذوقها إلا بالنظر في مقابلها مما هو موجودٌ عند البشر، فتذوق جمال الشيء لا يكون إلا من صاحب الخبرة بهذا الشيء.

كما أنَّ إدراك هذا الجمال لا يمكن إلا بالممارسة والاستماع والمداومة؛ فإن جمال الأشياء لا تُوصَف، بل تُدْرَك إدراكًا دون تعبيرٍ عنها. قال ابن القيم: "ذكر حقيقة الحسن والجمال ما هي؟ وهذا أمر لا يُدْرَك إلا بالوصف ... وقيل: الحسن معنى لا تناله العبارة، ولا يُحِيطُ به الوصف"[٩].

سادساً: فوائد تنمية التذوق الجمالي للقراءات:

١- بيان إتقان القرآن وخلوه من العيوب: لقد أنزل الله القرآن محكمًا من لدنه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والقراءات هي من القرآن وأحد وجوه القراءة به، كما أنَّ الجمال أمرٌ يبحث عنه الناسُ في كل ما يتعلمونه ويقرأونه وينظرون إليه ويعيشونه؛ فإظهار مواطن الجمال في القرآن، وكيفية تذوقها، وتنمية الذوق السليم للإحساس بها؛ يوصل الإنسان المتذوق إلى معرفة أن هذا القرآن متقنٌ وخالٍ من العيوب، حتى من العيوب الجماليَّة، فهو أمرٌ لم يُهْمَل في القرآن، بل كان له النصيب الوافر والحظ العميم من الاعتناء.

[٩] روضة المحبين لابن القيم (ص٢٣٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- أهمية تنوع مواطن الجمال:

لقد جاء جمال القرآن -كما مرَّ معنا سابقًا- متنوعًا؛ فمنه ما يعود إلى الصوت، ومنه ما يعود إلى جمال الكلمة، ومنه ما يعود إلى صياغة العبارة، ومنه ما يعود إلى عِظَم المعاني، ومنه ما يعود إلى إحكام الأحكام، إلى غير ذلك.

٣- تنمية الشخصية المتكاملة وترقية مشاعرها:

يعد تنمية الشخصية المتكاملة هو الهدف الأول والرئيس للتربية الجمالية، لأنَّ الجانب الجمالى يعد أحد الجوانب الأساسية فى تلك الشخصية، وهى تساعد على نمو الشخصية الإنسانية نمواً متكاملاً من خلال الاندماج في النشاط البنَّاء الخلاق والاستمتاع به.

٤- تنمية حواس الفرد وذكائه:

وهذا ما أيده وذهب إليه "هربرت ريد" حيث يرى أنَّ التربية الجمالية هي تربية تلك الحواس التي يقوم عليها الشعور ويقوم عليها في النهاية ذكاء الفرد وقدرته على الحكم، ولن يتم بناء شخصية متكاملة الحواس إلاَّ بقدر ما تقام علاقات الانسجام والتعود بين تلك الحواس والعالم الخارجي، ولعل هذا التوفيق بين الحواس وما حولها من البيئة أهم أهداف التربية الجمالية.

٥- تنمية القدرة على التذوق الجمالي واكتشاف الميول والمهارات:

يهدف التذوق الجمالي للقراءات والروايات إلى تنمية القدرة على التذوق الجمالي لدى الفرد من حيث تعويده على الكيفية التي يرى بها الأشياء.

٦- تنمية القدرة على الإبداع:

من الأهداف الهامة التي تسعى التربية الجمالية لتحقيقها تنمية قدرة الفرد على الإبداع لكي يكون إيجابياً في إيجاد مجتمع بنَّاء.

٧- زيادة الاستمتاع بالقرآن الكريم على الاستمتاع بالحياة بشكل عام:

إنَّ الذي يستقبل الجمال ويقدره يستطيع أنْ يخرج من ذاته ليقدر جمال الطبيعة ويستمتع به، وهذه القدرة علي الاستجابة لجمال الطبيعة وجمال الفن بصفة عامة هو أحد أهداف التربية الجمالية التي تنميه في الأفراد من خلال إتاحة الظروف التي تمكنهم من أنْ يستمتعوا بالجمال في الطبيعة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وانظر إلى قوله تعالى: {بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين} كيف أشارت الآية إلى أن الجمال يسُرُّ، فإن كان جمال الصورة يدخل السرور على القلب، فكيف بجمال الصوت، المصاحب لجمال المعنى.

الخاتـــمة

وفي الختام أن القرآن الكريم بقراءاته ورواياته هو أعلى مراتب الاستخدام اللغوي والأسلوبي والدلالي على الإطلاق داخل حدود اللغة العربية الحاملة للغة الوحي.. وهي اللغة التي قدمها المسلمون للعالم بحضاراته فيما بعد نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين إذ استطاع القرآن الكريم أن يجمع الناس حوله، وأن يستقطب الاهتمام اللغوي والأدبي والبلاغي في جمال متناسق منقطع النظير-ولما كان الجمال هو الشيء الملازم للشعور الإنساني فهو علم يراد به الإدراك الحسي للأشياء أو علم المعرفة الحسية أو علم الحساسية، فهو الصفة الموجودة في الشيء المنعوت بالجمال والتي تبعث السرور والبهجة، وتُدْخِل على النفس الرضا والارتياح. والقرآن الكريم ذو علاقة مباشرة بالجمال فهو كلام الله الجميل الذي يحب الجمال، فهو يريد من البشرية عمارة الأرض في كافة مجالات الحياة وفق المنهج الإلهي الرباني الذي ارتضاه لها فعلاقة الإسلام بالجمال علاقة مباشرة حيث كان له فنونه الخاصة به، وقد علمنا قيمة الجمال في حياة المسلمين والعرب، وقراءات القرآن الكريم ورواياته يلمس الجمال فيها في كافة الجوانب المختلفة فهو معجزة الله الخالدة المتحدى بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فجمالياته لا حد لها - فيمكن إدراكها في جمال بيانه ودقة نظمه وكمال بلاغته وروعة معانيه وشمولها واتساقها ودقة صياغتها وقدرتها على مخاطبة الناس على اختلاف مداركهم وأزمانهم وإشعاعها بجلال الربوبية في كل آية من آياته..!! ويمكن إدراك جمالياته في كمال تشريعه ودقة تفاصيل ذلك التشريع وحكمته وشموله، ويمكن إدراك جمالياته في استعراضه الدقيق لمسيرة البشرية ولتاريخ عدد من الأمم السابقة من لدن أبينا آدم — عليه السلام - إلى خاتم الأنبياء والمرسلين — عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى السلام — ، مما لم يكن يعلم تفاصيله أحد من الناس في زمن الوحى. ويمكن إدراك جمالياته في منهجه التربوى الفريد وأطره النفسية والاجتماعية السامية والعلمية في نفس الوقت والثابتة على مر الأيام، أو في إنبائه بالغيب مما تحقق بعد نزوله بسنوات طويلة، أو في إشارته إلى العديد من حقائق الكون وسنن الله فيه مما لم يكن ممكنا لأحد من البشر أن يصل إلى شيء من معرفته وقت نزول القرآن الكريم ولا لمئات السنين من بعد ذلك. ويمكن إدراك جمالياته في صموده أمام كل محاولات التحريف التي قامت بها قوى الشر المتعددة متمثلة في الكفرة والمشركين والملاحدة المتشككين على مدى الأربعة عشر قرنا الماضية وذلك لأن الله تعالى قد

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

تعهد بحفظه بعهده الذى قطعه – سبحانه وتعالى- على ذاته العلية ولم يقطعه لرسالة سابقة أبدا، وذلك بقوله العزيز: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر:٩). ومن جمالياته اختلاف قراءاته ورواياته التي هي في حقيقتها اختلافات تنوع في المعاني والمدلولات يحتملها السياق فالقرآن حمال ذو وجوه ولا يمكن أن يكون هذا الاختلاف اختلافا متضادا في المعاني والمدلولات، إن الجمالية في قراءات القرآن الكريم ورواياته تنطلق من البنية اللغوية ذاتها للكلمات الأصولية والفرشية؛ ولهذا فإنه لا بد من فهم طبيعة الأسلوب اللغوية لنتوصل منه إلى إدراك جماليته البلاغية والفنية. فإذا كنا ننتقل من طبيعة اللغة وفضاءاتها إلى فضاءات الأساليب ووظائفها بمناهج مختلفة تكاد تكون عند أصحابها مطّردةً؛ بعناية إمّا باللغة وإما بالبلاغة. فأهل اللغة يقفون عند اللغة لفظاً وتركيباً وأحوالاً من جهة الإعراب والبناء. وأهل البلاغة يعمدون إلى الاتجاه البلاغي في البنية اللغوية. وتوجيه قراءات القرآن الكريم ورواياته يجمع بين هذا وذاك ببلاغة قرآنية تظهر جمالياتها في كل جانب وهي جديرة بأن تفرد لها عناية خاصة في دراسات أسلوبية ونقدية حديثة.

تلك هي خلاصة محاضرتنا اليوم حول قراءات القرآن الكريم ورواياته وتنمية التذوق الجمالي، راجياً من الله أن يكون فيها خير للسامع، وتفتح آفاقا لمن أراد البحث والدراسة فالمجال في جماليات توجيه قراءات القرآن الكريم ورواياته واسع ورحب ويحتمل إفرادها ببحوث جامعية خدمة لكتاب الله وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

والحمد لله رب العالمين.